بسم الله الرحمن الرحيم
الملهم الموهوب
الإمام الشهيد حسن البنا
في ذكرى استشهاده (1439هـ– 2008 م)

نشرة دورية ، تصدر كل اسبوعين عن " رسالة الإخوان "

".... اذكروا أيها الإخوان أنكم الكتيبة المؤمنة التي انتهى إليها فى هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالاته.. ودعوة الإنسانية التائهة في بيداء الحيرة إلى الصراط المستقيم.. وفي أيديكم أنتم قارورة الدواء، من وحي السماء، فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة في وضوح..".

الإمام حسن البنا

حسن البنا
نسر يخفق بجناحيه في سماء الناس
(17)

سنظل نقرأ في سيرة مرشد جماعة الإخوان المسلمين الأول الإمام الشهيد حسن البنا، وسنظل وغيرنا كلما طالعنا هذه السيرة طالعتنا معالم جديدة تختفي أحيانا وسط صخب رنين الكتابة في أسماع وقلوب المرهفين الذين يطالعون السيرة بأبصارهم وبصائرهم فلا يختلط الحق في أذانهم تحت ضجيج الأحداث، ولا تفقد أبصارهم وبصائرهم الرؤى عندما تغشى الدنيا ظلامات الأحداث، وتظل نقاط الضوء الصغيرة التي تخترق هذا السواد بارزة شاخصة تنبئ عن ما وراءها وما حاول الكثيرون إخفاءه بأستار ظنوا أنها يمكن أن تطمس ملامح الضياء في نفس داعية مؤمن أعدوا له موتة أجهدوا أنفسهم في حبك خيوطها في ليلة أطفئوا فيها أنوار العاصمة المصرية آملين أن تخمض معها شعلة الضياء في النفس الربانية فلا يراها بعد وضعه تحت التراب أحد ولكن يبرق الضياء عندما يصح البصر وتصفو البصيرة.

قدر الموت الذي يصاحب كل مخلوق في هذا الكون .. الإنس والجان والملائكة والشجر والحجر والجبال والدواب والأفلاك .. هذا القدر عاشه حسن بن عبد الرحمن البنا منذ وعى وجوده في هذه الدنيا بمداومة زيارته للمقابر، وظل وعيه يزداد قربا منه كلما زادت أيام عمره وسنينه، وأدركه يقينا بقربه ودنوه عندما انطلق بدعوته وأدرك معها أن دعوة الحق التي يجهر بها لن يَرْضى عنها أكثر الناس، وأن استمساكه بهذا الحق الذي آمن به دون انخداع بغيره أو المساومة عليه أو التفريط فيه. ثمنه اليقين الذي لا شك فيه .. الموت.

لنقرأ كلمات الإمام الذي لقي ربه وهو في سن الثانية والأربعين وجّهها إلى إخوانه الشباب في الجامعة المصرية والتي أرادوا (وللمفارقة) أن يطفؤوا فيها نور الدعوة كما أطفؤوها في عاصمتهم عند المؤامرة على قتله:

أيها الإخوان - يا شباب الله ورسوله وكتابه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

... قبل أن آخذ معكم في حديث الدعوة أحب أن أوجه إليكم هذا السؤال: هل أنتم على استعداد بحق لتجاهدوا وليستريح الناس؟ وتزرعوا ليحصد الناس؟ وأخيرا لتموتوا وتحيا أمتكم؟ وهل أعددتم أنفسكم بحق لتكونوا القربان الذي يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها؟ .

من العاملين من يعمل لابتغاء مال أو جاه أو وظيفة أو منصب أو عرض من أعراض هذه الدنيا، ومنهم من يعمل ابتغاء ثواب الله ورضوانه في الآخرة، ومنهم من سمت نفسه وزق حسه ودق شعوره وتسامى عن مواطن المادة جميعا وانتقل إلى الملأ الأعلى فأحب الخير للخير وعمل الجميل لذاته وشعر بأن ما يجد من حلاوة التوفيق لهذه المنزلة فيه الكفاءة لما بذل من تضحيات في سبيلها، وأدرك سر قول العارف حسبك من ثوابك على الطاعة أن رضيك مولاك لها أهلاً، بل سر قوله تعالى **(بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)** فإن كنتم من الصنف الأول فتخلوا حالا عن هذا الميدان الكريم فما أفلح فيه نفعي قط، ويأبى إلى الله أن يكون دينه القيم أحبولة لجر المغانم الدنيوية الزائلة، وإن كنتم من الصنف الثاني فاعملوا راشدين فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وستجزون بالدرهم ديناراً وبالحسنة أضعافاً مضاعفة **(وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما)** وإن كنتم من الصنف الثالث فبخ بخ وهنيئا لكم السمو إلى ذلك العالم الملكي والاتصال بهذا الملأ الروحاني والدخول في حيز قوله تعالى: **(ولسوف يرضى)**.

نقرأ هذه الكلمات الآن وبعد تسعة وخمسين سنة والتي تأتينا وتصك آذان الدنيا .. ليس من تحت التراب الذي وضعوا جسده فيه .. ولكن .. من هناك من أفق أعلى تصفو معه البصيرة وترتفع إليه الأبصار حيث يحلق ذلك النسر .. ويخفق بجناحيه في سماء الناس.

في هذا العدد

حسن البنا ...
لماذا نكتب عنه ؟

حسن البنا يعلن عن شخصية مصر الإسلامية

المشروع الإصلاحي للإمام حسن البنا

محنة أو منحة

الملهم الموهوب .. الامام حسن البنا
تصدر عن:
"رسالة الإخوان "
113 Cricklewood Broadway
London NW 2 3JG
Tel: 0208 2084583
FAX: 02082084283
Email:
banah100@hotmail.com

حسن البنا ... الداعية والمربي

لماذا نكتب عنه ؟

الوفاء لدعوة الله أولا – وللمعلم الذي قتل مظلوما – والذي استطاع أن يربي جيلا له نشاط نافع علي مستوي العالم كله – وجمع مئات الألوف من الجنيهات تبرعا من الأيدي الفقيرة وأنفقها في سبيل الله كلها ثم توفي عن ستة جنيهات لا غير تركها لأسرته من ماله الخاص

المعلم الذي رفع شعار (الموت في سبيل الله أسمي أمانينا) ثم كان هو أول عضو في الجماعة حقق الله له هذا الشعار: أتاه هذا الشرف قبل سواه.

((2))

بلغ من أمانته للعلم وورعه أنه كان يفضح نفسه ويصحح خطأه أحيانا علي ملأ من الناس في الأحفال العامة إن وجد ذلك لازما، فقد يكتب إليه بعض الناس ملاحظة أو تذكيرا بصورة خاصة فيقوم يعترف بالخطأ ويعلن الحق لجانب الآخرين، ونعتقد أنه لا يقدر علي هذا إلا قليل .

*** وأما العزة :**

فقد كان عظيم الاعتداد بالدعوة والجماعة، كبير الأمل في الله تعالي.

سمعته يقول يوما لأحد نواب الشعب (لا تصفقوا لأحد ولا تسيروا في ركاب أحد – ولتكن عزتكم بالله وحده)

وكان كثير ما يسخر بالسلطة الغاشمة ويقول: إنهم يقولون عنكم (غر هؤلاء دينهم) – فتوكلوا علي الله لا شريك له .

وفي نفس الوقت كان يحذر من الغرور والاندفاع والإعجاب بالنفس – لأن الخط الذي يفصل بين الاعتزاز بالنفس والاغترار بها خط دقيق جداً .

*** سعة أمله :**

وكان واسع الأمل –أو قل– واسع الخيال، وهي صفة لابد منها لكل مصلح – وأحيانا يستفتح الحديث بقوله (دعونا نتخيل وجود شعب مؤمن فاهم، يحقق كذا وكذا) .. ومن كلماته السائرة (حقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد).

وقد طلب منه بعض العاملين في دار المركز العام أن يعطيهم إجازة لدراسة الدكتوراه والماجستير، فكان جوابه لهم جميعا (الأمر أعجل من ذلك، إن الذي نحن فيه أهم وأكبر من نيل الدرجات) .

*** نشاطه وعمله المتواصل :**

كان ينفق مالا يقل عن 16 ساعة عمل المتواصل في غالب الأيام – بعد استقالته من التدريس – ولا ينام من الليل إلا القليل وكانت خصلة الدأب والنشاط الدائم عنده تنتقل بالتقليد إلي سائر العاملين في القطر كله .

وليس سهلا علي أي إنسان أن يحقق الفناء في الغاية والسعي إلي الهدف الذي حدده لنفسه – دون أن ينسي الحقوق الأخرى المرتبطة به كحق البيت وحق النفس وحق الأولاد والأرحام ولكن اليقظة والتنظيم تبارك الوقت وتحقق الواجب علي كل حال.

*** من صفاته الشخصية :**

الكرم والإيثار ، وإن المرء ليعجب حين يطلع علي مالية المركز العام ويعلم أنه يقيم دعوة عامة لا دعوتين كل أسبوع لأكثر من مائة من رجالات مصر في كل مرة لتناول الشاي .

إن الدعوة الواحدة في ذلك الوقت كانت تكلف مائتي جنيه علي الأقل، ولكنها كانت عندنا تتكلف مائتي قرش علي الأكثر فالأدوات (السرفيس) والكراسي ملك المركز العام ونحن نقوم بالخدمة والزخرفة– وعلي المرشد العام أن يعتذر عن الباقي بالنكتة اللبقة وينقل الحاضرين إلي المعاني الجادة .

وكنا كثيرا ما نجتمع في بيته علي دروس (التفسير وإحياء علوم الدين) وأحيانا ينسي أن يجهز لنا شيئا فيقول (اذهبوا إلي المطبخ فكلوا ما وجدتم أو اصبروا) .. ولكنه حين يدعو أناسًا بأعينهم تشعر بمعاني الكرم والإتقان في حدود ذلك الإمكان .

وكان يقول: (يكذب من يزعم التضحية بالنفس وهو شحيح بالمال لأن النفس أغلي من المال)

وقد استطاع – مع شدة الأحداث وخصوصا في أيام حرب فلسطين – أن ينقل استعداد أعضاء الجماعة للتضحية من القروش العشرة والعشرين إلي (خمس الإيراد) فقدم للهيئة التأسيسية مشروع (سهم الدعوة) وشعارنا قول الله تعالي: (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه) وبدأ بنفسه فكان يقدم (العشرة) عن نفسه من ماله الخاص رحمه الله .

كان عفيفا ورعا :

لا شك أن الربانية تورث غنى النفس والرضا في يد الله والطمع فيما عنده وهو الغنى الحميد ، وكذلك كان حسن البنا يعطي أكثر مما يأخذ ويستدين علي مورده القليل ليحمل الكسل ويكسب المعدوم .

* ذات مرة كنا في زيارة لعمدة كفر أبو كبير وكان رجلا ثريا درس في انجلترا – وقدم القهوة في فناجين زجاجية لها قواعد (تلبيسات) من الذهب ... ونظرنا لنري ما يفعل المرشد العام .. وبكل بساطة رأيناه قد اقلع الفنجان الزجاجي من تلبيسته الذهب – وشرب ، ولم يقطع حديثه– ولم يشعر بذلك إلا قليل .

لا تكونوا منفرين .. !!

ذات مرة استمع إلي بعض الإخوان يهاجمون ضيفاً جديداً علي الدار بشأن خاتم من الذهب كان يحمله في يده .. فاستدعاهم فيما بعد وقال لهم: (لا تكونوا منفرين..ولا تستنفدوا طاقة الإرشاد في أغراض جانبية –واعمدوا لمهام الأمور– ولو كسبتم هذا بحسن الخلق فسوف يخلع الخاتم بنفسه عاجلا أو آجلا) .

وكان يحب العمل ويدعو إليه ويعيب كثرة الكلام والتورط في الجدليات، ومازلت أذكر حين كان يضرب بيده علي المنضدة في الدرس العام وهو يتلو حديث النبي صلي الله عليه وسلم (أنا كفيل ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق)) يكررها مرات – ومن كلماته (المراء لا يأتي بخير) وقوله – (لا تخلطوا قضية الذات بقضية الحق) أي لا تتعصبوا لذاتكم وآرائكم فيخرجكم ذلك عن الحق الذي يحبه الله تعالي .

قال له أحد الإخوان (نريد أن تعلمنا الخطابة وفنون الدعوة) فأجاب قائلا (سيروا في القرى وطرقات الأرياف مرة في اليابس ومرة في الطين وخالطوا هذا الشعب المؤمن وعندها يفتح الله عليكم وهو الفتاح العليم) .

في إحدى زياراته خرج ألوف من الإخوان يحمدون الله من دورهم ذرافات ويكبرونه ، وخرجت جموع أخري بموسيقاها واصطفت بميدان محطة الإسكندرية في نظامها التقليدي ، ثم وصل قطار القاهرة وتسارع الإخوان كل يريد أن يحظي بأول لقاء مع فضيلة المرشد ، ولكن المرشد لم يكن في القطار . لقد علم بما أعد الإخوان من مظاهر لا يرضاها للدعوة ، ولا لنفسه ولا للإخوان ، فتخلف قبل وصول القطار للإسكندرية ، واتخذ طريقه مع بعض الزوار إلي الشعبة ثم أرسل من يقول للمنتظرين بالمحطة أن المرشد قد سبقهم إلي دار شعبة محرم بك ، وجمع الإخوان شملهم ثم أسرعوا إلي الدار في هدوء وكل منهم ممتلئ النفس بقوة الدعوة وعظمة الداعي ، وقد علم أن دعوة هذه مزاياها وتلك دروسها لن تزعزع جذورها الأيام .

عاطفة الأبوة

في الوصية الأخيرة

كان آخر ما كتب الإمام الشهيد من الرسائل رسالته التي وجهها إلى الإخوانِ جميعًا بصفتهم لا بأسمائهم وهي رسالة تتدفق بشعورِ الأب الذي ابتعد عن الدنيا واقترب من الرفيق الإعلى فعانقته أيام الاحتضار أو ساعاته، ولكن لم تأخذه سكرة أو ذهول، بل غمرته موجات من الإيمان والثقة والطمأنينة ففاضت مشاعر الأبوة الحانية التي تجيش في نفسه بالتعبير عن حبه وتقديره لهم وثقته في عزيمتهم وقدرتهم، فهو لا يُحدثهم- وهم جميعًا أبناؤه- إلا بالإخوة الفضلاء:

"أيها الإخوة الفضلاء.. أتقدم إليكم جميعًا مهنئًا بما كَتَبَ الله لكم من توفيقٍ، وما أجراه الله على أيديكم من خير، وما اختصكم به من ثباتٍ على كلمةِ الحقِّ..".

".. فاذكروا- أيها الإخوان- أنكم الكتيبة المؤمنة التي انتهى إليها في هذا العصر المادي المظلم بالشهواتِ والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلماتِ الله ورسالته.."

إنها وصية مودِّع؛ لذا جاءت زاخرةً بأنبلِ التوجيهات: "...فإنَّ عليكم أنتم... أن تتداركوا ما فات، وأن تُصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات.. ومهزوم مَن يحارب الله ويغالب القدر...".

".... أصلحوا سرائركم- أحسنوا أعمالكم- استقيموا على أمر الله، استعدوا للبذل والعطاء والجهاد بالنفس والمال، اعملوا لوجه الله مخلصين له الدين... ".

ويختم وصيته بأن يجعل الإخوان شعارهم النظافة:"النظافة في الضمير والتفكير، وفي اللسان وفي السير، وفي الثوب وفي البدن، وفي المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والمسلك، والقول والعمل، وإن مما أوصى به الرسول- عليه الصلاة والسلام- أمته: "تنظفوا حتى تكونوا كالشامةِ بين الأمم".

حسن البنا يعلن عن شخصية مصر الإسلامية

للدكتور : محمود رشاد خليل-رحمه الله -

قام حسن البنا بالإعلان عن شخصية مصر الإسلامية ، علي اعتبار أن هذه الشخصية هي التي تمثل وحدها حقيقة الواقع وحقيقة التاريخ ، وصرح في رسالته (دعوتنا في طور جديد بأننا " نرجو في مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الإسلام ، وتجمع كلمة الأمم العربية وتعمل لخيرها ، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان وتنشر كلمة فتنة ويكون الدين لله) .

الجامعة الإسلامية دعوة قديمة :

علي أنه لا يجب أن يفهم من قولنا أن حسن البنا اكتشف الجامعة الإسلامية التي تنتمي إليها مصر ، فارتباط مصر بالجامعة الإسلامية كما أن الدعوة إلي إعادة ربط مصر بالجامعة الإسلامية هي دعوة قديمة نادي بها جمال الدين الأفغاني الذي حضر إلي مصر في أواخر القرن الماضي ليبشر بدولة إسلامية ناهضة في ظل خلافة عثمانية قوية .

وقد حارب المستعمرين فكرة الجامعة الإسلامية بكل الوسائل خوفا من أن يعاود الإسلام ممارسة دوره القديم ، فيقوض أركان نفوذهم الروحي والسياسي والاقتصادي في المنطقة ؟ وكان أخوف ما يخيف المستعمرين أن ينجح دعاة الجامعة الإسلامية في حشد طاقات المسلمين وراء دولة الخلافة العثمانية..

اكتشف حسن البنا لمصر الإسلامية شيء آخر غير الجامعة الإسلامية .

لكن ما فعله حسن البنا لم يكن مجرد ترديد للدعوة التي سبق بها جمال الدين إلي الجامعة الإسلامية .. ذلك أن حسن البنا لم ينطلق في حديثه عن مصر الإسلامية من حاجة سياسية طارئة إلي ضرورة إحياء الترابط، وإنما جاء طرحه لتصوره شخصية مصر مستندا إلي ركيزتين أساسيتين هما :

أولا : فهم شامل عميق لحقيقة الدعوة الإسلامية ، وحقيقة الأهداف الإنسانية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي استهدفها .. ففي إطار هذا الفهم يعرض لنا خصائص الدعوة الإسلامية ، فيقول في رسالته: **(دعوتنا في طور جديد) :**

" أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية :

أما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا أن يتعرف الناس إلي ربهم ، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلي طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها.

وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلي الناس كافة لأن الناس في حكمها أخوة : أصلهم واحد وأبوهم واحد، ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل **" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " .**

وبهذا التحديد لربانية الرسالة وعالميتها هدم حسن البنا الأساس الذي تقوم عليه دعاوى العرقية والإقليمية في أي مجتمع مسلم سواء أكان هذا المجتمع المسلم يسكن مصر أم يسكن الشام أم يسكن الهند أم يسكن إيران أم يسكن تركيا . ذلك أنه مع بروز خصائص الدعوة الإسلامية علي هذا الأساس الرباني العالمي الشامل ، فإنه لا يحق لمسلم يؤمن بالله ، ويؤمن بالإسلام – ولا يحل له أن يرفع نسبا فوق نسب الإسلام كائنا ما كان هذا النسب ، وسواء ارتفع به إلي الفراعنة أو إلي الأكاسرة أو إلي عدنان وقحطان أو حتى إلي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .. **فليس مسلما وإن صلي وصام وتعلق بأستار الكعبة كل عام ذلك الذي يضع نسب الإسلام ويرفع نسب الأوطان أو الأجناس .. فكل نسب في الإسلام يأتي بعد – لا قبل – الإسلام وإن كان نسبا لآل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم ..** وكما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ليس منا دعا إلي عصبية " ، " ومن مات علي عصبية مات ميتة جاهلية "..

هذه هي الركيزة الأولي في تصور حسن البنا لشخصية مصر .

أما الثانية : فهي الفهم العميق لواقع الإنسانية وتاريخها العام الذي تدخل فيه مصر كما تدخل فيه غيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وهو لذلك يرفض أي حكم أو قرار أو صفة أو نسبة لا تستند إلي فهم حقيقي وعادل للتاريخ، وفي ذلك يقول في رسالته دعوتنا في طور جديد:

" قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشري إلي مبتكرين ومحافظين ومخربين، وهو يعتبر قومه مبتكرين ، ويعتبر قوما آخرين من الغربيين محافظين ويعتبرنا نحن الشرقيين ، وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين ".

ثم يعلق علي هذا التقسيم قائلا :

" هذا التقسيم ظالم جائر فضلا عن أنه غير صحيح بأصله ، فالجنس البشري كله مردة إلي دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات ، وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقي من رتبته إلي أعلي منها بدرجة ما يصل من تهذيب .

وليس هناك جنس من بني آدم لا يمكن إصلاحه في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به ، هذا من جهة

ومن جهة أخري فإن هذا الشرق الذي وضع في صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات ، وهو مفيض ذلك كله علي الغرب ، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر .

ومثل هذه المزاعم الباطلة لا يمكن أن تستقل علي أساسها نهضات أو تقوم علي قاعدتها مدنيات ، ومادام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلي علم الأخوة فيرفعوه خفاقا ويستظلوا بظلة الوارف الأمين ، ولن يجدوا طريقا معبدة إلي ذلك كطريق الإسلام الذي يقول كتابه: **"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم " .**

خـاطرة

الإمام الشهيد حسن البنا

قد تمر بنا ساعات كثيرة من ساعات الحرج الشديد تحرج أحدا وتحرج رضوى .. وتحيل صمت الأبدية إلى عصف الرياح الهوج ولكن الجبل الراسي سيظل جبلا راسيا لم يتطاير منه إلا الغبار ولم تنحت العاصفة منه إلا بعض الضخور المتفتتة التي لم تعد منه ولم يعد بها..

ستسكن العاصفة وسندور في هذا الفلك الذي سخرنا فيه.. وهل تظن أننا وقد من الله علينا بهذا العقل وحبانا نور التفكير.. نضطرب في محيط الكون.. وهل عدا الأمر أن يكون تصرفنا محدودا في النهاية بعد الله..

لقد عاهدنا الله أن نكون لهذه الدعوة.. وسنظل لها.. ولقد خالجتنا خلجات من الناس فعاقبنا الله عليها .. ولا سبيل لنا إلا أن نقبل على أنفسنا بالتوكل وعلى الناس بالدعوة.. ولله بعد ذلك عاقبة الأمور..

لماذا نيأس من الإصلاح؟ .. هب أننا سوف لا نصل إلى شيء من النتائج .. ولنعمل على هذا الأساس كما عملنا من قبل؟ .. فماذا يضيرنا؟..

ألم نؤد الواجب ؟.. ألم نتحرّ الحق؟ .. ألم نؤد الرسالة؟ .. ذلك حسبنا ولله عاقبة الأمور...

مالي استطرد هذا الاستطراد؟!.. ومالي لا استطرد ؟..

الذهن اليقظ الخصيب .. والروح المتوثب لتحقيق الغاية..

فإذا لم يدفعني كل ذلك إلى تحقيق الإفاضة.. إذا لم يثر هذا في النفس مكامن الشجن .. إذا لم يهتز لها القلب؟.. وإذا لم تدمع معه العين تأثرا مزيجا من الفرح والإشفاق معا؟ .. فمتى؟ ومع من إذاً ؟

ولكن الوقت لا يتسع .. وأنتم مطالبون ... وبعد هذه الأقوال فلنكفف إذاً..

لقد تبين أننا ضعاف في الاختبار؟ .. ألم ترى كيف محصنا البلاء؟.. وكأن الله تبارك وتعالى تقبل منا الدعوة وطالبنا بالدليل .. وقبول الدعوة في ذاته نجاح ورضا .. ولكننا لم نبرهن على قوة الاحتمال فما أحوجنا إلى قوة الاحتمال

وما أحوجنا معها إلى قوة الإيمان...

قالوا عن البنا

يقول سمو الأمير عبد الكريم الخطابي:

" لقد كنا نسمع عن المرحوم الأستاذ حسن البنا وحركته الإسلامية الفتية ونحن في المنفى، ولما لجأنا إلى مصر العزيزة وتقابلنا مع الأستاذ المرشد عرفنا فيه الشخصية الإسلامية والأخوة الإسلامية وازداد فينا الأمل".

ويضيف: "إن الأستاذ البنا ولي من أولياء الله الصادقين، ولقد حاول إنقاذي منذ عشر سنوات أو أكثر من منفاي السحيق، وأعد العدة لذلك ورسم له الخطة، وجهز السفن ولكن الظروف قضت بالتربص إلى فرصة أخرى، وحين تسمح الظروف بنشر ما لدينا من أنباء يعرف الناس حقيقة هذا الولي الكبير".

الملهم الموهوب .... الإمام الشهيد حسن البنا

المشروع الإصلاحي
للإمام حسن البنا
((1))

بقلم: عبده مصطفى دسوقي - باحث تاريخي

قال الشهيد سيد قطب: "كلماتنا عرائس من شمع..."،

بهذا المعنى وعى الإمام البنا حقيقة الدنيا فحيا ومات وهو يعمل من أجل هذه الحقيقة؛ ألا وهي تربية أجيال تعرف معنى الإسلام الشامل، ومن ثم ظل يغرس البذرة ويرعاها حتى مات في سبيلها، فآتت ثمارها يانعةً.

مات حسن البنا ورحل، غير أنه ترك جيلاً حمل معانيَ هذا الدين الحنيف، فأضاء للبشرية السبل ... مات حسن البنا ورحل بعد أن ترك ذكره في قلوب أحبائه وأعدائه، فكان من القلائل الذين أثنى عليه الأعداء قبل الأحباب.

وها هي ذكرى استشهاده تهلُّ علينا بعبيرها ونسيمها في 12 فبراير؛ فمنذ تسعة وخمسين عامًا رحل الإمام البنا في ليلةٍ غلَّفت فيها الأبواب، وأُطفئت فيها الأنوار، فترصد به الأعداء ونالوا منه مأربًا، ظنًّا منهم أنهم سيقضون على ما عمل من أجله، غير أنهم فزعوا بعدما رأوا البذور التي ظنوا أنها قد ضمرت وماتت في باطن الأرض، قد أينعت ودبَّت فيها الحياة.

وفي العام الماضي احتفل الإخوان المسلمون بذكرى مئوية الإمام البنا؛ هذه الشخصية التي ما زالت تعطي الجديد لمَن أراد الحديث عنها أو في أحد جوانبها، وما كل ذلك إلا نعمةٌ من الله وهبها الله للإمام البنا.

وبمناسبة هذا الحدث عَقد مركز الإعلام العربي احتفاليةً شارك فيها الكتَّاب والمفكرون والعلماء؛ كلٌّ منهم يُظهر جانبًا من جوانب شخصية الإمام البنا، وصدرت هذه الأبحاث التي قُدِّمت في كتاب تحت عنوان "المشروع الإصلاحي للإمام البنا.. تساؤلات لقرن جديد"، شارك فيه ما يقرب من ستة وعشرين عالمًا ومفكرًا بأبحاث قيِّمة.

الجانب الفكري

تحت عنوان "التجديد في المشروع الحضاري للإمام البنا"، عرض المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد عمارة فكر التجديد عند الإمام البنا؛ حيث طاف حول امتداد منهج وفكر الإمام البنا للمشروع الحضاري الذي بدأه الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، غير أن الإمام البنا تميَّز عنهم بجانب التطبيق والعمل، بالرغم من أنه جاء وسط ظروفٍ صعبة كانت تحياها الأمة؛ فقد كانت تعيش في ظل لاحتلال الأوروبي والذي فرَّقها شيعًا يضرب بعضهم رقابَ بعض، في ظل ذلك استطاع أن يُخرج جيلاً ربانيًا من وسط هذا الركام الكبير عُرف معنى الشمولية في الإسلام.

وتناول معالم التجديد لدى الإمام البنا في مشروعه الحضاري، فحدَّد عدة معالم؛ منه:

1- التميُّز عن المؤسسات الدينية التقليدية؛ حيث لم يقف عند المتون والحواشي والعقل وفقط، بل كان الدين شموليًّا.
2- الجمع بين النظر العقلي والنظر الشرعي.
3- مرونة الشريعة، والانفتاح على الحكمة الإنسانية.
4- إسلامية النظام النيابي الدستوري.
5- رفض التغريب، ونقد الحضارة المادية الغربية.
6- تكافل دوائر الانتماء الوطني والقومي والإسلامي والإنساني.
7- سنة التدريج في الإصلاح.

خصائص الإخوان المسلمين

كما كتب الداعية فتحي يكن تحت عنوان "خصائص الشخصية الحركية لجماعة الإخوان المسلمين" تحدَّث عن أن الإخوان المسلمين ليست حركةً لها بريق سرعان ما يختفي، لكنها حركة ذو هوية، كما تحدَّث عن خصائص هذه الشخصية، وأنها:

1- سلفية العقيدة.
2- ربانية التربية.
3 - جماهيرية الدعوة.
4 - أخلاقية السياسة.
5- انضباطية الجهاد.
6- ضوابط القوة.
8- نخبوية القيادة.
9- مرحلية العمل.
10 - وسطية المواقف والسياسات.
11- عالمية المشروع.

محنة أو منحة

الإمام حسن البنا

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (يوسف – 33).

كذلك مضت سنةُ ربك من قبل ومن بعد.. ما صدع أحدٌ بالحق وجهر به، ودعا الناس إليه إلا أوذي، والعاقبة للمتقين والنصر للصابرين.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة 207).. (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج-11)، **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)** (العنكبوت-10)، وسبحان من قسَّم الحظوظ، فلا عتابَ ولا ملامةَ **(فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)** (الشورى: من الآية 7).

تلوت هذه الآيات جميعًا، واسترسل بي التفكير، وتداعت إلى نفسي المعاني، يأخذ بعضها بعجز بعض، وانتقل الخاطر من الآيات إلى العظات، ومن الحاضر إلى الغابر، وتكشفَّت صحائفُ التاريخ، فلمحتُ في ثناياها المشرقة أئمة الفقه الإسلامي الأربعة: أبا حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل الشيباني، رضي الله عنهم جميعًا، أولئك الذين مهَّدوا للناس سبُل الفقه، وعبَّدوا طرائقَه للسالكين، وكانوا في الناس كالشمس للدنيا والعافية للبدن، ومع هذا لم ينجُ أحدهم من محنة في سبيل الحق، كانت له منحةً ولا شكّ.

عُرِض القضاء على أبي حنيفة مرتين، وهو يعلم أن استقلال القاضي حينذاك قد يهدِّد بتدخُّل الولاة ورأي الخلفاء، مع أن القاعدة العامة يومئذ أن منزلة القاضي من السموّ بحيث لا تنال منها رهبةٌ ولا تؤثر فيها رغبةٌ، وكان لأبي حنيفة في الدولة رأيُه فلم يشأ أن يقبل، وألحَّ أبو جعفر وأصرَّ أبو حنيفة، وأقسم الخليفة فأقسم الإمام، وانتقل الأمر إلى التهديد والوعيد، فلم يفعلا شيئًا أمام عزيمةٍ أقوى من الحديد، وضُرب الإمام أكثر من مائة سوط حتى سال الدم على عقبيه وهو ثابتٌ لا يلين، وحُبس حتى مات في محبسه أو أُخرج منه واعتُقل في منزله لا يُفتي، ولا يجتمع الناس عليه، وهو على موقفه الأول، وجاءته أمه تعاتبه وتقول: "يا نعمان، إن علمًا ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيقٌ بك أن تنفرَ عنه"، فقال: "يا أماه لو ردت الدنيا ما ضُربت، ولكن أردت وجه الله وصيانة العلم".

وسئل مالك عن طلاق المكرَه- وهو يعلم ما يقصد السائل، وأنه يسأل عن يمين البيعة يُكره الوالي عليها الأمةَ، فلا تجد مخرجًا إلا اليمين هربًا من العذاب الأليم- فقال: "طَلاق المكره لا يقع"، وغضب الوالي لفتوى الإمام، وأحضره، وحاول أن يثنيَه عن عزمه، وأنَّى له، فأمر به فضُرب مائة سوط، وجُذب جذبًا عنيفًا حتى خلعت كتفه، وطيف به في الأسواق وهو يقول مع هذا كله: "طلاق المكره لا يقع".

واتُّهم الشافعي رضي الله عنه في اليمن بانضمامه إلى حزب الطالبيين وشغبه على حكومة الرشيد وإمامته، فأُحضر من صنعاء إلى بغداد بالسيف والنطع، وأُعدم قبله تسعة وكان هو العاشر، ومع هذا لم تهُن عزيمتُه، ولم تلن قناته، ولم يذهب الخوف بلبّه، وأثبت الحق لنفسه حتى فاز بإعجاب الخليفة به، وتقريبه إياه، وسلم العلم والفضل بسلامته.

وحاول المعتصم أن يظفر من الإمام أحمد بن حنبل الشيباني بكلمة تُوافق رأي الخلافة ومذهبها حين ذاك، والإمام حيث هو وقَّاف عند كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- منكِر لكل ما يسمع عداهما لا يتحوَّل ولا يتردَّد، يضرب حتى غُشي عليه، وسُجن في بيته لا يتصل بأحد، ولا يتصل أحد به، حتى فرَّج الله عنه، فلم يكن خصومه معه إلا على حد قول القائل:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ومن قبل ومن بعد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مضت وتمضي سنة الله العلي الكبير **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)** (محمد-31).

فاللهم إن كان بلاءً في مرضاتك وفي سبيلك فمرحبًا به وأهلاً، ولك العتبى حتى ترضى، وما لم يكن بك غضبٌ علينا فلا نبالي، وعافيتك بعد ذلك أوسع لنا، ولله الأمر من قبل ومن بعد

وأنتم أيها المجاهدون العاملون لدعوات الحق اليوم وغدًا.. هذا نبأٌ من **الأمس (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ) (الأنعام: من الآية 90).**

(هذا المقال ورد بجريدة الإخوان المسلمون اليومية- السنة الأولى- العدد 192- ص 1 بتاريخ 25 محرم 1366هـ= 19 ديسمبر1946 .